إبلاغيّة الانفعال الإيجابيّ في الشواهد الشعريّة لدى شرّاح التلخيص

ميس فرات محمّد

أ . م . د . شروق محسن كاطع

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة / قسم اللغة العربية

الخلاصة:

تعدّ هذه الدراسة من الدراسات التي تسعى إلى دراسة شكل من أشكال الانفعال في الشواهد الشعريّة لدى شرّاح التلخيص وهو الانفعال الإيجابيّ ، وبيان مدى تحقّق البعد الإبلاغيّ في هذه الشواهد عن طريق إيراد الشواهد الشعريّة التي تكشف عن انفعال الشاعر الإيجابيّ ، وبيان قدرته في إبلاغ هذا الإنفعال بشكل مؤثّر. ومهمّتنا في هذا البحث دراسة الشواهد الشعريّة المُظهرة لانفعال الشاعر الإيجابيّ ، وتحليل ذلك إبلاغيّاً بالإستناد إلى انفعال الشاعر فيها .

الكلمات المفتاحية : الإنفعال ، الإنفعال السلبي ، الإبلاغيّة ، الشاهد الشعريّ

The Expressiveness of Positive Emotion in Poetic Evidence According to Summarization Commentators

Mais Furat Muhammad

Asst. Prof. Dr. Shurooq Mohsen Kat'a

Dept. of Arabic, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

This study is one of the research efforts aiming to explore a form of emotion in poetic evidence among summarizers, which is positive emotion. It seeks to elucidate the extent of the expressive dimension in these instances by presenting poetic evidence that reveals the positive emotion of the poet, highlighting his ability to convey this emotion effectively.

Keywords: Emotion, negative emotion, expressiveness, poetic witness.

مقدّمة :

يعدّ الانفعال الإيجابيّ عند الشاعر نوعاً من أنواع الانفعال المحفّز والرافع لمستوى النصّ الشعريّ ؛ لما ينطوي عليه الجانب الايجابيّ من دعم معنويّ يصل نفسيّاً إلى متلقّيه ، ويرغّبه ويحثّه على كلّ ما يمكن أنْ ينفعه . والإبلاغ في الجانب النفسي لا يصل إلى المتلقي عن طريق الجوانب السلبيّة بما فيها من غضب وحزن وألم فحسب وإنّما هنالك أكثر ((من معطى نفسيّ يغذّي طاقة الشاعر الإبلاغيّة ... بأن يكون المبدع في نطاق الشعر خاصّة في حِلٍ من شجون الحياة وشؤونها . فالصورة الشعريّة الجيّدة كما التركيب الشعري المتين ، لن يتحصّلا ما لم تكن النفس في أرفع درجات صفائها ...))([1]).

والصفاء لا يأتي مع وجود المعوّقات والمعكّرات ، وإنْ كان هنالك بواعث نفسيّة ينتج منها الشعر كالألم والغضب فإنّ ((الأهمّ بين بواعثه هو الوجد والعشق والاشتياق إلى الحبيب، فأحقّ البواعث بأنْ يكون السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين ...))([2]) . وإنْ لم تكنْ هذه البواعث ملازمة في كلّ غرضٍ شعريّ إلاّ أنّها قد تكون غالبة على أكثره .

وهذه البواعث يمكن أنْ نعدّها من البواعث الإيجابيّة ؛ كونها لا تنطوي على ما يؤذي النفس ويكدّر صفوها ، وقد ذهب ابن رشيق القيروانيّ (ت ٤٥٦ هـ) إلى أنّ لكلّ حالة نفسيّة نوعاً معيناً من الشعر ((فمَن أراد المديح فبالرغبة ، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء ، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ، ومن أراد المعاتبة فبالإستبطاء))([3]) . وهذا يعني اختلاف بواعث النفس في قول الشعر بين بواعث سلبيّة وأخرى إيجابيّة ، ويعتمد ذلك على انفعال الشاعر وتوتّره النفسيّ في أثناء نظم الشعر .

وقد اقتضت دراستنا هنا للانفعال الإيجابيّ في شروح التلخيص الشعريّة الابتداء بالمقدّمة، ومن ثمّ تناول مفهوم الانفعال في اللغة والاصطلاح ، وبيان الفرق بين الانفعاليّة والإبلاغيّة ، ثم تحليل بعض النماذج التطبيقيّة للانفعال الإيجابيّ في هذه الشروح ، والإنتهاء إلى الخاتمة التي اختصّت بنتائج هذه الدراسة ، ومن ثمّ قائمة المصادر والمراجع.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

أوّلاً – مفهوم الانفعال في اللغة والاصطلاح :

في المعنى اللغوي يشتقّ الانفعال من الفعل (فعَلَ) ويعني حدوث شيء ما (٤) . وأمّا في الاصطلاح فتعرّف الانفعالية بأنّها : التأثّر المرتبط بالإحساس ، فالإحساس هو السبب الأوّل والأساس للانفعال ، والانفعال تابع له . وهي أيضاً إحدى الكيفيّات المحسوسة أيضاً، والتي تحدث بسبب فاعلٍ أو فعلٍ ما ، يؤثّر بما يجاوره (٥). فهي ترتبط بالمعنى اللغوي من ناحية الفعل المؤثّر في المتلقي .

ثانياً – الانفعاليّة والإبلاغيّة :

تطرّق بعض الدارسين العرب إلى الربط بين الإبلاغيّة والانفعاليّة ، ومنهم الدكتور عفيف دمشقيّة في كتابه (الانفعاليّة والإبلاغيّة في بعض أقاصيص ميخائيل نعيمة) الذي عرّفها بأنّها ((تشتمل كلّ ما يجاوز الجانبين العاطفي والفكري في الكلام ، و كل ما يجاوز كذلك إيصال الوقائع والآراء إلى الآخرين ، فإنّ عوامل من مثل الاهتمام بعنصر من عناصر العبارة وإبرازه ، وجرسها ، وتناغم موسيقاها وإيقاعها ، ونبرة الملفوظ ، والقيم العاطفيّة ، وتلك التي تستدعي إلى الذهن ذكريات ما مثل التعابير المستخدمة في الكتب الشهيرة ، والأساليب الفصيحة البليغة ، والأخرى المألوفة ، والشعبية ، والعامية ، والسوقية ... إلخ ، كل ذلك يدخل في نطاق الإبلاغيّة))(٦) .

وكان الدكتور عصام كمال السُيوفي أحد دارسي الإبلاغيّة من الناحية الانفعاليّة وذلك في كتابه (الانفعالية والإبلاغيّة في البيان العربي) ؛ إذ رأى مِنَ الأولى دراسة الأدب بمنظار جديد يظهر أسرار اللغة ودقائقها ، ويغوص إلى باطن كيانها . فتخيّر في دراسته بيان الإبلاغيّة من ناحية انفعاليّة في نماذج من الأدب العربي منها في الشعر كمعلقة امرئ القيس ، وقصيدة البحتري في وصف الذئب ، وقصيدة الحمّى للمتنبي ، وغيرها . وفي النثر تخيّر دراسة الانفعاليّة بشكلها الإبلاغيّ في خطبة الجهاد للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

ورأى الدكتور عصام كمال السيوفي أنّ الانفعاليّة تعني اللغة العاطفيّة التي يسعى من خلالها المبدع إلى التأثير في المتلقي ، والتعبير عن أحاسيسه الداخليّة . أمّا الإبلاغيّة فهي إيصال هذا الانفعال عن طريق انتقاء المبدع للعبارات القادرة على إبراز الجانب العاطفي والانفعالي ، وتخيّر النغم والموسيقى وإيقاع العبارة الأنسب لذلك كلّه (٧) .

وعرّف الدكتور سمير أبو حمدان الإبلاغيّة في كتابه (الإبلاغية في البلاغة العربيّة) بأنّها : ((جملة العوامل النفسيّة التي توارت في الداخل من القول البلاغي العربي ، سواء أكان قولاً شعرياً أو نثرياً .. وهي مجموع الشحن النفسيّة المتوارية في نصٍّ أدبيّ ما)) (٨).

وقد بحث الدكتور سمير أبو حمدان عن القيم الإبلاغية في نصوص البلاغيين العرب القدماء ، وكشف عن هذه المنطقة المغبونة في البلاغة العربيّة ، وألقى نظر الدارسين على مصطلح حديث التداول من جهة نفسيّة وانفعاليّة ، لأنّه رأى وقوف هذا المصطلح على حدود مشتركة بين علم النفس وعلم اللغة الحديث (الألسنيّة) .

يتبيّن لنا من ذلك أنّ الانفعال مع الإبلاغيّة يشكّلان ((محرّكاً فاعلاً – للفنّ عموماً – وللشعر على وجه الخصوص ، إذ لا تجربة فنيّة ولا شعريّة دون انفعال سابق ومحرّك لها ...)) (٩) . ولكلّ تجربة انفعاليّة خصوصيتها التي تأتي من خصوصيّة التعبير الشعريّ لدى كلّ شاعر ، ومدى قدرته على حشد انفعاله وإيصاله إلى المتلقي بشكلٍ متفرّدٍ ومتميّز .

ولقد حفلت بعض النصوص الشعريّة في شروح التلخيص بأشكال انفعاليّة للشعراء كشفت عن الجانب النفسيّ للشاعر وأظهرت قدرته في إبلاغ مكنونات نفسه عن طريق حشد الأبيات الشعريّة بالألفاظ والتراكيب الأكثر تعبيراً عن الحالة الانفعاليّة المتغيّرة بطريقة مؤثّرة أعطت الأبيات الشعريّة حيويتها وحرارتها .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

ثالثاً – الانفعال الإيجابيّ في شواهد شروح التلخيص الشعريّة :

لقد تفنّن الشعراء في شروح التلخيص في بيان انفعالاتهم الايجابيّة المختلفة ، واتخذت صوراً متعدّدة ، ومنها صورة طرب النفس وسرورها ، وهذا ما عبّر عنه قيس بن الملوّح ، الذي هام عشقاً في ليلاه ، ولازم حضورها شعره فزاده طرباً وانشراحاً ، يقول فيها :

لَظَلَّ صَدى صَوْتي وَإِن كُنتُ رِمَّةً لِصَوتِ صَدى لَيلى يَهُشُّ وَيَطرَبُ (١٠)

وللشاهد الشعريّ هنا بيتاً يسبقه ، وهو غير مذكور عند الشارح ، ونجد ضرورة إيراده هنا لبيان الشاهد الشعريّ الذي اخترناه ، وهو قوله :

فَلَو تَلتقي أرْوَاحُنَا بعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دونِ رِمْسَيْنَا مِنَ الأرضِ مَنكِبُ (١١)

نرى الشاعر هنا وهو يبلغ أقصى ما يمكن تخيّله من أشكال الانفعال السارّ الذي يتخطّى الواقع إلى ما ورائه ؛ لأنّه يعرض صورة انفعاله بعد الموت وهذا من أعجب أشكال الانفعال ، فهو لا يرى في الموت فناءً ولا انتهاءً لحبّ ليلى ، وإنّما يرى امتداد هذا الحبّ إلى عوالم أخرى ودوام بقائه .

ويبلغنا الشاعر بشكل هذا الحبّ فهو حبّ يتخطّى حبّ الجسد إلى حبّ الروح؛ ولهذا يكتسب صفة الديمومة والاستمرار ، ويكشف عن صفاء الحبّ ونقائه ، فهو حبّ خالٍ من المصالح الماديّة ، حبّ قادر على إدخال السرور والارتياح على النفس حتى بعد الموت ؛ لتعلّقه بالجانب الروحيّ ، وإيمان الشاعر بقوّة تواصل الروح مع الآخرين بعد فناء الجسد .

ويتجلّى البعد الإبلاغيّ المؤثّر أيضاً في هذا الشاهد في عرضه للوسيلة المتواضعة القادرة على إسعاده في رمسهِ وهي صوت ليلى ، فليس بالضرورة رؤية ليلى ، بل يكفي أنْ يصل إليه صوتها ليحدث الانفعال السارّ عنده ، وفي هذه الصورة من القيم الإبلاغيّة والنفسيّة ما يعطي الشاهد الشعريّ رفعةً ومرتبة تعبّر عن حذق الشاعر وبراعته في تحريك النفس لما يشدّها في خلود حبّه وسرمديّته .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

ومن البواعث النفسيّة الايجابيّة باعث الخشية المقترنة بالفرار ممّا يهدّد حياة الإنسان وأمنه ، والمحافظة على الوجود الإنساني (١٢) ونجد ذلك في قول ابن همّام السلوليّ :

فَلَمَّا خَشِيْتُ أظَافيرَهُم نَجَوتُ وَأرهَنُهم مَالِكاً (١٣)

وقد تجلّى إبلاغ الشاعر هنا في بيته الشعريّ بالإتيان بالواو العاطفة مع الفعل المضارع ممّا يعطي ثباتاً أقوى للفظة ، فضلاً عن أسلوبه الانتقالي من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع ، وإفادة ذلك في مقارنة المعنيين والموقفين وبيان أجزائه المتعاقبة (١٤) .

وأظهر البيت الشعريّ موقفين انفعاليين للشاعر كان أوّلهما ممهّداً للآخر ، فالخشيّة هنا انفعال ايجابيّ ؛ لأنّه أسهم في إنقاذ الشاعر من شرّ القوم وأسلحتهم ، وفي ذلك حماية للنفس من الآخرين وصونها عن الأذى ، فالخشيّة تختلف عن الخوف ؛ لأنّها انفعال نفسيّ مقرون بالمعرفة (١٥) ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر : ٢٨] ،وهذا يعني انفعال الشاعر المُبلغ والايجابيّ .

ولقد استعار الشاعر لفظة (أظافيرهم) للأسلحة ممّا يعني وجود غلّة إبلاغيّة حصدها الشاعر بهذه اللفظة لِتَصَدُّر ((الاستعارة مكانة مرموقة بين قيم الإبلاغيّة ، فهي تضفي على النصّ جوّاً من تداعي الأفكار والتذكّر))(١٦) ، فهنا يأخذنا الفكر إلى سبب انتقاء الشاعر للفظة (الأظافير) في معرض بيان انفعاله ، وبعد إعمال الفكر يتبيّن لنا أنّ الأظافير تعمل في الجسد عمل الأسلحة فيها ، فهي من أدوات تشويه الجسد ونهشه وتمزيقه وإدمائه أيضاً ، فالانفعال الإيجابيّ ظهر هنا في نجاة الشاعر من ذلك كلّه .

ولو كان الشاعر مباشراً في قوله (أسلحتهم) بدلاً عن (أظافيرهم) لما أحدث فينا تأثيراً ، ولما كان لهذه اللفظة وقعها المبلغ مع سياق البيت الشعريّ ، فضلاً عن دلالة صوت الظاء الاحتكاكيّ الذي يحاكي احتكاك الأسلحة واصطكاكها ببعضها في مقابل صوت السين المهموس في لفظة (الأسلحة) ، وإيقاع العبارة الثانية الخفيف في (أسلجتهم) مقارنة بإيقاعها ونبرتها في اللفظة الأولى (أظافيرهم) . ونجد قوّة الصورة وتأثيرها أيضاً من الفعل (أنشبت) التي تكوّن مع (الأظافر) صورة الرعب والشدّة والقوّة .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

وكثيراً ما يستعير الشعراء هذه اللفظة – الأظفار – لتقويّة نصّهم الشعريّ وجعله أكثر إبلاغيّة ، وهذا ما نجده في بيت الهذليّ الذي قال فيه :

وَ إذَا المَنيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَهَا ألْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ(١٧)

إذن هي لفظة فيها من القوّة والإبلاغ ما يجعل الشاعر يعدل بها إلى بيان فعل الشيء وقوّته وشّدة أثره ، إذ يصوّر الشاعر الموت وشرّ الأعداء بصورة الحيوان المفترس الذي يمتلك الأظافير القادرة على إزهاق الأرواح والقضاء عليها .

ونلمس الموقف الانفعاليّ الايجابيّ في شواهد شعريّة أخرى حفلت بها شروح التلخيص نلمح فيها ما يجب أنْ تكون عليه انفعالات النفس في وقت الشدائد والصعاب ، ومنه في قول أبي ذؤيب الهذليّ الذي أورده السبكيّ (ت٧٧٣هـ) والتفتازانيّ (ت٧٩٢هـ) في معرض الحديث عن التشبيه :

وَتَجَلُّدي لِلشامِتينَ أُريهِمُ أَنّي لَرَيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعضَعُ
حَتّى كَأَنّي لِلحَوادِثِ مَروَةٌ بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقرَعُ
وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ (١٨)

إنّ العمل الأدبي الشعريّ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتركيب النفسيّ لصاحبه فطاقة الشاعر الانفعاليّة والنفسيّة يمكن أنْ ترفع من قيمة نصّه الشعريّ المشحون بطاقة إبلاغيّة تكمن خلف الألفاظ والتراكيب ، وتفصح الأبيات الشعريّة هنا عن ثبات الشاعر الانفعاليّ ، وتعمّده لإظهار صبره على الشدائد ؛ لما في ذلك من جانب إيجابيّ يكمن في مظهرين ، أولهما : تقوية الصديق ، وثانيهما : زلزلة العدوّ الشامت نفسيّاً .

ويتدرّج الشاعر في هذه الأبيات الشعريّة في إعطاء صورة نفسيّة متكاملة تبدأ بالمظهر الخارجيّ النفسيّ الذي ينبغي أنْ يبدو عليه الإنسان في أشدّ المواقف وأصعبها إلى الصورة الثانية التي تجسّد مظهراً لأحد الأماكن المهمّة وهو صفا المشرّق (١٩) ، وما يبثّه هذا المكان من طاقة روحيّة ونفسيّة تؤثّر في المتلقي ، لما في الصلاة من سكينة للنفس واستقرار ، فحالته النفسيّة توحي للمتلقي برباطة الجأش والهدوء كما يوحي المصلّى بمنًى تماماً .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

وإنّ صورة التكرار هنا استدعتها عبارة : (الصفا والمروة) وتشبيهه لنفسه بالمروة في صورة رائعة أكّدتها عبارة : (كلّ يومٍ تقرعُ) التي فيها من الإبلاغ ما يوحي باستمرار الموقف النفسيّ الثابت والايجابيّ وتكراره في كلّ يوم مهما بلغت الحوادث مبلغها منه .

ويتدرّج الشاعر في الموقف النفسيّ من الفرد إلى الجماعة ، أي : من نفسه إلى نفوس الآخرين ، فهو يصدّر طاقته النفسيّة إلى الجميع بحكمة تشتمل على دراسة لنفس الإنسان ، فالشاعر يوصل إلى المتلقي ويبلغه بقوّة ما يمتلكه من طاقة انفعاليّة يمكن توجيهها والتحكّم بها ، فالنفس راغبة إذا تمّ ترغيبها ، وقانعة إذا رضيت بالقليل من هذه الدنيا ، وذلك كلّه منح النصّ الشعريّ اتزاناً نفسيّاً كشفت عنه ألفاظ الشاعر وتراكيبه .

ولقد ألهب الشاعر نصّه الشعريّ بعمق نهايات أبياته ، فقوله : (لا أتضعضع) وتكرار صوت الضاد والعين وتتابعهما يظهر عدم اهتزاز الشاعر لأزمات الزمان وأهواله ، وأنّ التجلّد الذي لديه جعله لا يتضعضع . فضلاً عن إبلاغ الشاعر لصوت الأزمات التي يتعرض لها الإنسان بصوت القَرع وهي الضربات المتواصلة ، والوصول أخيراً إلى الصوت الهادئ في (تقنعُ) الذي ألبس اللفظة صوت القبول والاكتفاء ، فالصبر يلبس الحوادث ثوباً من الرضا ويغطّيها كما يغطي القناع الرأس.

وإنّ مجيء نهايات البيت الشعريّ مقترنة بالفعل المضارع في (أتضعضع) و (تُقرعُ) ، و(تُقنعُ) يدلّ على وقوع الإنسان انفعاليّاً في حالة مستمرة من الصراع الداخليّ مع الحياة وحوادثها ، وهذا الاستمرار ينبغي مقابلته بقوّة انفعاليّة متواصلة ومستجدّة وممتدّة بامتداد النكبات والوقائع .

وفي مقابل ذلك ضمّن البيت لفظة (التجلّد) وقوة نبرتها وثباتها واستقرار لفظتها التي تعكس استقرار نفسيّة صاحبها .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

وتُظهر أبيات شعريّة أخرى في شروح التلخيص انفعال الشاعر الثابت ولكن تتخذ خصوصيّة أكبر تتضح من خلال الموقف الانفعاليّ الحاصل في المعارك والحروب ونلمح ذلك في قول أبي الطيّب المتنبي :

وَتُسعِدُني في غَمرَةٍ بَعدَ غَمرَةٍ سَبوحٌ لَها مِنها عَليها شَواهِدُ (٢٠)

وعلّق ابن يعقوب المغربيّ (ت١١٢٨هـ) على هذا الشاهد بقوله : ((وتسعدني بالفوز بالغنائم والنجاة في شدّة بعد شدّة فرس سبوح ، أي : حسنة العدو ، لا تتعب راكبها فكأنّها تسبح على الماء ، ويوصف بسبوح المذكر والمؤنث ، ثمّ وصف الفرس بدلائل نجابتها بقوله: لها منها عليها شواهد ، أي : لتلك الفرس شواهد عليها ، أي : تشهد على نجابتها حال كون : تلك الشواهد كائنة منها ، لأنّ علامة نجابة الفرس توجد في خلقتها غالباً ...))(٢١).

وهذا الشاهد يحمل من الإبلاغ ما يرفع من مستوى البيت الشعريّ ، فالشاعر عندما يكرّر الغمرات إنّما يبلغنا صورة انفعاليّة تتكرّر في كلّ معركة يخوضها ، وهذا الانفعال يبلغنا شجاعة الشاعر النفسيّة إلى درجة دفعه انفعاله إلى التغني بالفرس في وسط المعارك ، وبين الدماء والقتل ، حتى إنّه ليبدو منشغلاً بها وبهيبتها وسرعتها وجودتها وقوّتها عن هيبة العدوّ وقوّته .

ويظهر البيت الشعريّ صلابة الشاعر في القتال ويكشف عن استخفافه بالعدوّ ورؤيته إيّاه ضعيفاً لا يحتاج في حضوره إلى التركيز على العدوّ أو الانتباه إليه ، وفي ذلك قمّة الإبلاغ والتأثير ، والمهارة في الكشف عن نفسيّة المقاتل الشجاع .

إذن تكرار الشاعر هنا لا يخالف الجانب الإبلاغيّ بل يزيده قوّة ؛ لتحقّق الفائدة هنا ، فالمعروف أنّ التكرار المكروه هو الذي ((لم يترتّب على إعادته فائدة ، أمّا إذا ترتّب عنه فإنّه غير مكروه)) (٢٢) .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

وقد يبلغ الشاعر انفعال الآخرين لا انفعاله ، وينقله بصورة مؤثّرة ، ونلمس ذلك عند الحطيئة في قوله :

مُفيدٌ وَ مِتْلافٌ إذَا مَا أتَيْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتِزَازَ المُهَنَّدِ (٢٣)

ولقد تحقّق البعد النفسيّ هنا بوصف الشاعر للممدوح بصفتين يبقيان المتلقي مشدوداً إليهما ، فحين يقع على السمع قوله : (مُفيدٌ ، ومِتلاف) فإنّ ذلك يفصح عن جانبٍ من شخصيّة الممدوح ونفسيّته ، وتعاقب الإفادة والإتلاف يوحي بسرعة عطاء الممدوح وسعة كرمه ، فهو ما إنْ يفيد من الأموال حتى يغدقها على الآخرين من دون رويّة وتفكّر .

وإنّ الشاعر ليجسّد بألفاظه ودلالاتها انفعال الممدوح الايجابيّ المقترن بالعطاء بشكلٍ دائم ، والممزوج بالابتهاج والسرور عند مجيء السائل ، فالممدوح يدخل انفعاليّاً في حالة من الانبساط توصله إلى قمّة الانفعال الايجابيّ ، فيفيض سروراً حتى تشعر بانشراحه ، وما توحي به هذه اللفظة من نشاط الممدوح في أثناء العطاء ودخول جسده في اضطراب حركيّ يشابه حركة السيف في المعركة، وهذا يعني وصول الانفعال إلى أعلى درجاته حتى تحوّل من انفعالٍ نفسيّ إلى انفعال جسديّ .

إنّ المقارنة التشبيهيّة الحركيّة بين الممدوح والسيف لها دلالاتها المُبلغة ، فكلتا الحركتين نافذة في المتلقي ، السيف نافذ في الأجساد ، والعطاء نافذ في قلوب السائلين، لما يمنحه العطاء من حبّ الناس للمُعطي وتأثّرهم بكرمه .

ويلفتنا أسلوب أبي الطيّب المتنبي في وصف مواقف انفعاليّة متعدّدة له ولغيره بطريقته الممتزجة بروح التحدّي والغلبة ، ونلمح ذلك في بيتيه الشعريين اللذين أوردهما التفتازانيّ والسبكيّ والمغربيّ في باب تقسيم فنّ البديع ، وهو قوله :

سَأَطلُبُ حَقّي بِالقَنا وَمَشايِخٍ كَأَنَّهُمُ مِن طولِ ما اِلتَثَموا مُردُ
ثِقالٍ إذا لاقَوا خِفافٍ إذا دُعوا كَثيرٍ إذا شَدّوا قَليلٍ إذا عُدّوا (٢٤)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

ولا يخفى ما في هذين البيتين الشعريين من بيان لحال الشاعر وموقفه الانفعالي مع حال وموقف الآخرين أيضاً ، فالبيتان مفعمان بروح المواجهة والشجاعة والقوّة الجسديّة والنفسيّة ، فالشاعر يصف نفسه بالرمح لبيان ما يحظى به من قوّة ، ولقد قدّم نفسه على الآخرين ؛ لما عرف عن المتنبي من حبّ ذاته وتقديره لها وافتخاره بنفسه ، فهو يوصل إلينا نفسيّاً شجاعته النفسيّة وسؤدده وزهوه ، ويبلغنا في الوقت ذاته قوّة جسده حتى تخيّر له القنا .

وينقلنا الشاعر هنا من انفعاله وقوّة نفسه إلى انفعال المشايخ من قومه وانفعالهم ، ولقد تخيّر المشايخ لأنّ الكهول ضعاف غالباً ، ولكنّ كهول قومه يلزمهم زيّ الكبرياء والمروءة ، بدليل (مُردُ) وهو غياب اللحى عنهم من طول اللثام ، ويحظون بقوّة الشباب مع حكمة الشيوخ .

وقد ذكر ((المشايخ ثمّ أشار إلى أحوالهم مضافاً لكلّ حال ما يليق به بقوله هم (ثقال) على الأعداء ، من شدّة شوكتهم وصعوبة وطأتهم (إذا لاقوا) . والثقل هنا عبارة عن شدّة نكاية الملاقي لهم ، وعجزه عن تحمّل أذاهم ، وهم (خفاف) ... أي مسرعين بالإجابة (إذا دعوا) إلى كفاية مهمٍّ ، أو دفاع ملمّ . (كثير إذا شدّوا) لأنّ الواحد منهم يقوم مقام الجماعة في النكاية فحكم ما كان منهم حكم الكثير في الإفادة . (قليل إذا عدّوا) لأنّ أهل النجدة والإفادة مثلهم في غاية القلّة ...))[٢٥] .

وبذلك أبلغ الشاعر عن انفعاله النفسيّ وتقديره لذاته وذوات الآخرين المتّصفين بالشجاعة والحكمة من قومه ، وأبلغنا ضرورة التماسك الجماعيّ والتآزر النفسيّ والمعنويّ في وقت الشدائد ، مع أخذ الدعم النفسيّ من ذواتنا أوّلاً ومن ثمّ من ذوات الآخرين ممّن يتمتّع بالحكمة ويمتلك خبرة التجارب في الحياة ، وبذلك تحقّق الانتصار النفسيّ والجسديّ على العدوّ .

ويكثر أبو الطيّب المتنبي من رفع روحه المعنويّة ، ومحاولة السيطرة والتحكّم بانفعالاته، نجد ذلك في قوله الذي ذكره السبكيّ والتفتازاني في باب (التجريد) :

لَا خَيْلَ عندكَ تُهْديهَا وَلا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطقُ إنْ لَمْ تُسْعِدِ الحَالُ [٢٦]

لقد بلغ المتنبي هنا غاية الإبلاغ النفسيّ ؛ لانتزاعه نفساً من نفسه يخاطبها ، لما يحظى به المتنبي من عزّة نفسٍ تمنعه من أنْ يذكر عدم امتلاكه للخيل أو المال ، ولذلك فهو ينتزع من نفسه شخصاً آخراً يوقع خطابه الداخليّ عليه ، وهذه النفس الأخرى التي أسقط عليها انفعالاته هي نفسه التي يخبؤوها عن الآخرين ؛ لئلاّ يعرض شيئاً من ضعفه ووهنه .

ويبلغنا الشاعر أيضاً عمق تأمّله في مخاطبة الذات ، وتحكّمه بها بالبحث عن أسباب أخرى توجب الموقف الانفعاليّ الايجابيّ ، فإنْ لم يكن يملك من القوّة الماديّة شيئاً فهو لا يخلو من قوّة نفسيّة يستمدّها من قوّة منطقه وشعره وبلاغته وحذقه ، والغنى عنده هو غنى الكلمة والفكر ، لا غنى اليد بما تملكه من أمور ماديّة زائلة .

الخاتمة

يتّضح لنا ممّا سبق تنوّع شواهد شروح التلخيص الشعريّة واختلاف أشكال الانفعال الإيجابيّ فيها اعتماداً على الحالة الشعوريّة التي تسيطر على الشاعر في أثناء نظم الشعر ، وتلوّنه بتلوّن حالته النفسيّة ، ولقد كشفت النصوص الشعريّة التي أوردناها عن أثر الانفعال في بيان إبلاغيّة النصّ الشعري وجماليّته وعمقه .

وكان الانفعال الإيجابيّ مبلغاً لسرور الشاعر في مواقف متنوّعة منها الحبّ ، والطرب ، والخشيّة الموجبة للنجاة ، والصبر على الحوادث ، والسعادة في وقت الشدائد والحروب ، المُظهرة لشجاعة المقاتل وبسالته . ولم يختصّ الانفعال الايجابيّ بإبلاغ انفعال الشاعر فحسب ، بل انفعال الآخرين أيضاً كما مرّ بنا في شاهد الحطيئة الشعريّ .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

الهوامش:

(١) الإبلاغيّة في البلاغة العربيّة ، د. سمير أبو حمدان ، منشورات عويدات الدولة ، بيروت – باريس ، ط١ ، ١٩٩١ م : ٥٥ – ٥٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٥ .

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الحسن بن رشيق القيروانيّ ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ، لبنان ، ط ٥ ، ١٩٨١م : ١ / ١٢٢ .

(٤) ينظر : لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن منظور ، تحقيق: أمين محمّد عبد الوهاب، ومحمّد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٩٩م، مادّة (فَعَلَ) : ١٠ / ٢٩٣ .

(٥) ينظر : موسوعة كشّاف مصطلحات الفنون والعلوم ، محمّد بن علي التهانويّ ، تحقيق : د . علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م : ١/ ٢٨٤ .

(٦) الانفعالية والإبلاغيّة في بعض أقاصيص ميخائيل نعيمة ، د. عفيف دمشقيّة ، مطابع الأمل ، بيروت – لبنان ، (د. ط) ، (د . ت) : ٨٠ .

(٧) ينظر : الانفعاليّة والإبلاغية في البيان العربي ، عصام كمال السيوفي ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م : ٢٩١ .

(٨) الإبلاغيّة في البلاغة العربيّة : ٧ – ٨ .

(٩) الشعر والموقف الانفعالي ، ، د. عبد الله أحمد باقازي ، دار الفيصل الثقافيّة ، المملكة العربيّة السعوديّة ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩١م : ٩ .

(١٠)ديوان قيس بن الملوّح ، تحقيق : يُسري عبد الغني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩م : ١١٩ . ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ، أحمد بن محمّد بن يعقوب المغربي ، تحقيق : د. خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م : ١ / ٣٤٧ .

(١١)ديوان قيس بن الملوّح : ١١٩ .

(١٢)ينظر : الشعر والموقف الانفعاليّ : ١٣٨ .

(١٣)شعر عبد الله بن همّام السَّلولي ، تحقيق : وليد محمّد السراقبيّ ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، الإمارات العربيّة المتحدة – دبي ، ط ١ ، ١٩٩٦ م : ٨٥ . وكتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ١ / ٥٥٩ . والمطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم ، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠١٣م : ٤٦٩ . ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : ١ / ٦٠٣ .

(١٤)ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٦٠٢ .

(١٥)المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمّد الأصفهانيّ ، تحقيق : محمّد سيّد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (د، ط) ، ٢٠٠٨ م : ١٤٩ ، ١٦٢ .

(١٦)الإبلاغيّة في البلاغة العربيّة : ٤٥ .

العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

(١٧)ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، تحقيق : د . أحمد خليل الشال ، مركز الدراسات والبحوث الإسلاميّة ببور سعيد ، مصر ، ط ١ ، ٢٠١٤ م : ٤٩ .

(١٨)المصدر نفسه : ٤٩ – ٥٠ . و كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ١ / ١٦٣ ، ١٨٧. والمطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٦٠٧ .

(١٩)وقد ذكر المحقّق لديوان الشاعر أنّه : مصلّى بمنى . ينظر : ديوان أبي ذؤيب الهذليّ : ٥٠.

(٢٠)ديوان أبي الطيّب المتنبي ، تحقيق : سليم إبراهيم صادر ، المطبعة العلميّة ، بيروت – لبنان ط ١، ١٩٠٠ م : ٢٦٥ . و كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ١ / ٨٤ ، ٨٩ . و المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ١٥٠ . و مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : ١ / ١٢٣ .

(٢١)المصدر نفسه : ١ / ١٢٤ .

(٢٢)الشاهد الشعريّ وأسئلة البلاغة والتلقّي في تلخيص المفتاح وشروحه ، د. عبد الله الرشدي ، المطبعة والوراقة المدنية ، مراكش ، ط١ ، ٢٠١٤م : ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٢٣)ديوان الحُطيئة ، تحقيق : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م : ٥٣ . والمطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٧٢٢ . والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٢/ ٥٠٨ . و مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : ٢ / ٦٨١ .

(٢٤)ديوان أبي الطيّب المتنبي : ١٦٨ . وكتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ٢ / ٢٥٥ . والمطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٦٦١ . ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : ٢ / ٥٣٣ .

(٢٥)المصدر نفسه : ٢ / ٥٣٤ .

(٢٦)ديوان أبي الطيّب المتنبي : ٤١٦ . وكتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ٢ / ٢٥٨ . والمطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ٦٦٤ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١- الإبلاغيّة في البلاغة العربيّة : د. سمير أبو حمدان ، منشورات عويدات الدولة ، بيروت – باريس ، ط١ ، ١٩٩١ م .

٢- الانفعالية والإبلاغيّة في بعض أقاصيص ميخائيل نعيمة : د. عفيف دمشقيّة ، مطابع الأمل ، بيروت – لبنان ، (د. ط) ، (د. ت) .

٣- الانفعاليّة والإبلاغية في البيان العربي : عصام كمال السيوفي ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٤- ديوان أبي ذؤيب الهذلي : تحقيق : د . أحمد خليل الشال ، مركز الدراسات والبحوث الإسلاميّة ببور سعيد ، مصر ، ط ١ ، ٢٠١٤ م .

٥- ديوان أبي الطيّب المتنبي : تحقيق : سليم إبراهيم صادر ، المطبعة العلميّة ، بيروت – لبنان ط ١، ١٩٠٠ م .

٦- ديوان الحُطيئة : تحقيق : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م .

٧ – ديوان قيس بن الملوّح : تحقيق : يُسري عبد الغني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

٨- الشاهد الشعريّ وأسئلة البلاغة والتلقّي في تلخيص المفتاح وشروحه : د. عبد الله الرشدي ، المطبعة والوراقة المدنية ، مراكش ، ط١ ، ٢٠١٤م .

٩- شعر عبد الله بن همّام السَّلولي : تحقيق : وليد محمّد السراقبيّ ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، الإمارات العربيّة المتحدة – دبي ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .

١٠- الشعر والموقف الانفعالي : د. عبد الله أحمد باقازي ، دار الفيصل الثقافيّة ، المملكة العربيّة السعوديّة ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩١م .

١١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : الحسن بن رشيق القيروانيّ (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ، لبنان ، ط ٥ ، ١٩٨١م .

١٢- كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

١٣- لسان العرب : محمّد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) ، تحقيق: أمين محمّد عبد الوهاب، ومحمّد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٩٩م .

١٤- المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ) ، تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠١٣م .

١٥- المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمّد الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمّد سيّد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، (د . ط) ، ٢٠٠٨ م.

١٦- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : أحمد بن محمّد بن يعقوب المغربي (ت ١١٢٨ هـ) ، تحقيق : د. خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .

١٧- موسوعة كشّاف مصطلحات الفنون والعلوم : محمّد بن علي التهانويّ ، تحقيق : د . علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦م.